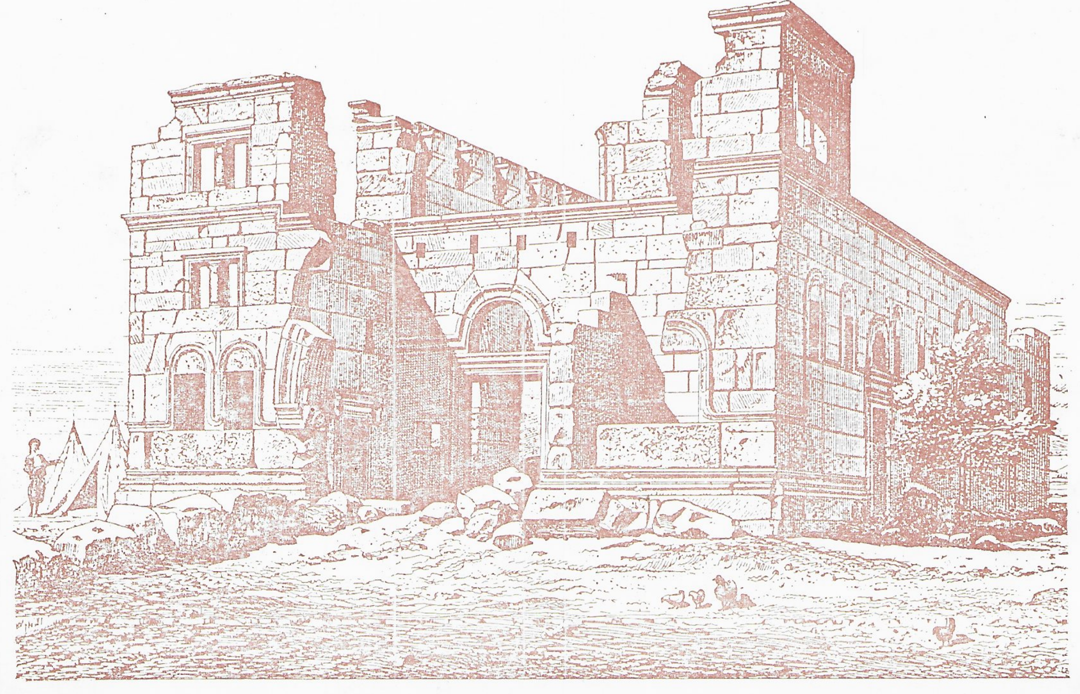


فايز قوصرة

قلب لوزة

درة الكنائس السورية





قلب لوزة

درة الكنائس السورية

فايز قوصرة

الطبعة الاولى ـ ١٩٩٥

١٤١٥ ـ ١٤١٦ هـ

١/١٠٠٠

مطبعة الضـاد ـ حلب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تحفل محافظة ادلب بغنى أثري تغبط عليه ، وفن معماري حذاه المهندسون والمعماريون في الشرق والغرب .

ونحن تلفت أنظارنا هذه المواقع ، فتشدنا نحو منجزات أسلافنا الحضارية ، لتشير الى العقل الهندسي الابداعي الذي صممها ، واليد الماهرة التي شيدتها .

هذا الانسان المبدع فكراً وعملاً ، من حقه علينا ـ نحن أحفاده ـ أن نزيل عنه غبار النسيان ، كي نحذو حذوه ، ونعلّم الاجيال القادمة سلوكه الحضاري ، لنكون خير خلف لخير سلف .

ولعل من منجزاته الحضارية كنيسة قلب لوزة ، درة الكنائس في القطر العربي السوري . ولتظهر معالمها الى القراء الذين يتتبعون سلسلتنا محافظة ادلب بوابة الحضارة السورية(١) ويتساءلون عن الجديد في عملنا ، وبعد كل التساؤلات يصدر هذا الكتيب ، ليقدم للقارىء وللزائر دراسة ، تشمل المضمون وتفي الغرض .

ونأمل من الاجيال القادمة المحافظة على تراثنا الحضاري ، وان تعدد في الشكل ، فهو واحد في المضمون والهدف !

ادلب ١٠/٣/١٩٩٣ **فايز قوصرة**

مدخل تاريخي

تشهد الحوليات التاريخية ، على أن هذه المنطقة كانت المهد الثاني للمسيحية بعد ظهورها في فلسطين ، فمنها انطلق دعاة الدين الجديد ، يتحدون وثنية روما بسلام وحب . وكانت انطاكيا والتي دعيت فيما بعد مدينة الله ملاذاً لهؤلاء الدعاة ، ينشرون مبادئهم في مناطقها .

وكان على رأسهم الحواري برنابا ، والمبعوث من قبل شيوخ القدس ، وآزره في ذلك بولص ، فاتبعهما كثير من الناس ونجحا في الدعوة للايمان بالدين المسيحي .

وهكذا انتشر هذا الدين في المنطقة ، رغم الاضطهادات الدينية التي قام بها الوثنيون وبعض أباطرتهم بحق المؤمنين بالدين الجديد وبدأ أتباعه ببناء منشآتهم الدينية من أديرة وكنائس وصوامع ومدافن في ربوع هذه المنطقة بجهودهم الذاتية ، دون دعم خارجي ، وبنماذج هندسية محلية ، تفتقت عن ابداعاتهم الحضارية التي توارثوها عن أسلافهم(٢) .

في عام ٢٤٤ تولى الحكم في امبراطورية روما فيليب العربي من بلدة شهبا في سورية ، فكان أول من منح المسيحيين الحرية التامة ، وسمح لهم أن يعيدوا بناء الكنائس التي دمرتها موجات الاضطهادات في العهود السابقة لحكمه(٣) .

ولعل هذه المنطقة قد شهدت ازدهاراً كنيسياً في عهد زنوبيا ملكة تدمر ٢٦٧ م . وحين تمكنت من ضم هذه المنطقة اليها عام ٢٧١ م وسعت في تعيين بولس السميساطي أسقفاً على انطاكيا ،

وبالطبع كانت هـذه المنطقة تابعة لأسقفيـة انطاكيا ، وتتبعها في تعاليمها الكنسية وشؤونها الدينية ٠

ولقد تعرضت المنطقة الى اضطهاد ديني من نوع آخر في عهد الامبراطور يـوليانس الجاحـد ٣٦١ ـ ٣٦٣ م وسمي بالجاحـد لارتداده عن الديانة المسيحية إلى الوثنية ٠ وقد أتينا على ذكره في « الرحالة في محافظة ادلب ـ الجزء الثاني » ٠

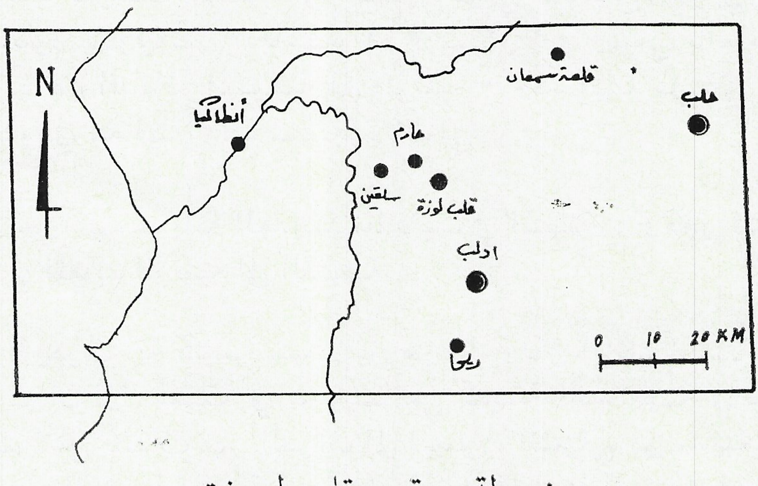
وأخيراً تم للديانة الجديـدة التثبت في المنطقة ، وهجر الناس التعبد في المعابد الوثنية الى الكنيسة ٠

ولا يعرف أية كنيسة بنيت قبل غيرها ، ولكن التنقيبات الاثرية أظهـرت أن أول كنيسة في سوريـا هي كنيسة الصالحيـة في دورا اوروبس على ضفاف نهر الفرات الى الجنوب الشرقي من مدينة دير الزور ٠ والكنيسة الثانية في سوريـة هي في محافظة ادلب في جبل الاعلى وهي كنيسة قرق بيزة وترقى لعام ٣٦١ م والتي لا تبعد عن كنيسة قلب لوزة غير كيلو متر واحد ٠

الموقـع : تقع الكنيسة جنوب شرق القرية وتدعى الكنيسة باسمها في محافظة ادلب ـ منطقة حـارم ناحية قرى مركز حارم ، وتتبعها مزارع قـرق بيزة الى الشمال منها بـ ١ كم وهي في أصلها قرية أثرية قديمة ، وكذلك يتبعها مزرعة بشندلنته الى الجنـوب الغربي منها بـ ٥ر١ كم ومزرعة بـاريسا الى الشمال الغربي بـ ٣٠٠ متر ٠

تبعد عـن حارم ع/ط حتان بـ ٢٥ كم وعـن حارم بطريق مختصر يمر بـ نابل بـ ١٥ كم ٠ وعـن حلب ع/ط مفرق قرقانيا بـ ٧٠ كم وعن ادلب ع/ط معرة مصرين ـ كفر بني ـ الشيخ بحر

ـ كوكو ـ قرقانيا ـ قلب لوزة بـ ٤٥ كم ٠ وطريق آخر من ادلب ـ عرب سعيد ـ كفر روحين ـ تلتونة ـ كفر بني ـ الشيخ بحر ـ كوكو ـ قرقانيا ـ قلب لوزة ٠



خريطة موقـع قلب لـوزة

وأما القرية فتتوضع في جبل الاعلى على ارتفاع ٦٨٣ م ولها إطلالة جميلة الى الشرق على جبل باريشا وعلى سبخة وادي الشلف ٠

السكان : بلغ عدد سكان القرية عام ١٨٩٩ (١٥٠ ن) وعام ١٩٢٢ (١٠٦ ن) وعام ١٩٤٥ (١٤٠ ن)[٤] وعام ١٩٧٠ (٤٧٠ ن) وعام ١٩٨١ (٦٥٠ ن) ويبدو أن القرية استوطنت ثانية حين لجأ اليها الدروز اذ أن طومسون زارها عام ١٨٤٦ وذكرها باسم قلب لوزة ووجد فيها بعض العائلات الدرزيـة ، وبعده ببضع سنوات جاء وادنغتون فوجد فيها عائلتين أو ثلاث من الدروز ٠ وأما سكان القريـة القديمة وبمـوجب الدراسات الاثرية للقـرى الاخرى المجاورة ، والحوليات ظلت مأهولة بالسكان الى القرن الحادي عشر

الميلادي ، وحين احتل البيزنطيون المنطقة أقاموا فيها شعائر مذهبهم الديني الملكي البيزنطي ، وبعد خروجهم ظلت مهجورة الى أن لجأ اليها السكان الجدد ، ليقطنوا بين آثارها ٠

التسمية : يطلق على القرية اسم قلب لوزة ، وكذلك تدعى الكنيسة بهذا الاسم ٠ ولكن هل هذا كان اسمها الحقيقي ؟ ! التنقيب والبحث الاثري لم يفدنا بذلك ٠٠ ولكن من الوثائق العائدة الى العهد العثماني ذكرتها باسم قرية قصر لوزة التابعة لقضاء حارم ناحية الجبل الاعلى وثيقة في ٢٨ جمادى الاول ١٠٠٤ هـ ـ كانون الثاني ١٥٩٦ م وأخرى عام ١٠٩٠ هـ باسم قصر لوزة ناحية جبل الاعلى(٥) ٠

وهناك مرسوم عثماني (فرمان) صادر عام ١١٣٧ هـ من القسطنطينية (اسطنبول) يذكرها باسم قرية قصر لوزة(٦) ٠

وأما السالنامة العثمانية لعام ١٣٢١ ـ ١٩٠٣ م فقد ذكرتها باسم قلب لوزي (بالياء) ٠ وأما الغزي فقد ذكرها باسم قلب لوزة ضمن قرى سلقين في قضاء حارم(٧) ٠

والاحصاء الفرنسي لعام ١٩٤٥ ذكرها قلب لوزي (بالياء) وكذلك الوثائق السورية عام ١٩٤٧ ذكرتها باسم قلب لوزي بالياء وكما هي في الوثائق العثمانية الرسمية مما سبق يتبين أن اسمها الاقدم هو قصر لوزي أو لوزة ، ومع الزمن تحولت الى قلب لوزة فما هو السبب ؟ ٠

الذي نرجحه أن سكان جبل الاعلى حين كانوا يشاهدون صرح الكنيسة ، والمميز عن غيره ، أطلقوا عليه اسم قصر ، ثم حين لاذوا وتجمعوا للسكن والبناء حوله وبقربه ظل هذا الاسم ، وبعد توسع

القرية لتجاور القصر ، أصبح هذا القصر وكأنه يقع في قلبها ، إما عمرانياً أو فعلاً حضارياً ، كتأثير فني ــ فكري ، فتغير اسمها الى قلب لوزي • وأما اختلاف اللفظ والكتابة بين لوزة ــ بالتاء المربوطة أو لوزي ــ بالياء ــ فهذا أمر وارد في اللهجات المحلية ، والتي يغلب عليها اللهجات الارامية السريانية • فحتى الآن ينادي الباعة لوزي يا مشمش • ولكن لمَ سميت بهذا الاسم ؟

أولاً : ان اسم قصر هذا وارد كصرح كبير وجميل ومتميز على غيره •

ثانياً : لوزة فتعني يلوز لوزاً اليه يلجأ • وكذلك اللوزي فتعني ما كان على هيئة اللوز • فلو أخذنا بالتفسير الثاني شجرة اللوز ، فهذا لم تثبته الوثائق ، أو أن هذه الشجرة كانت منتشرة في هذا الجبل كما هو حال وجود شجرة السماق لسمي جبل الاعلى بجبل السماق باسم هذا الشجر • علماً أن شجر اللوز كان موجوداً في جبل السماق أيضاً ، كما ذكر ابن العديم ، ولكنه لم يذكر وجوده في جبل الاعلى(٨) •

ولكني أرجح تسميتها جاءت من يلوز لوزاً اليه أي يلجأ ، لان أهالي هذه القرية وغيرها ، كانوا قد تعرضوا للاضطهاد في العهد العثماني وما قبله ، فالتجؤوا الى هذا المكان العالي المسمى قصراً فأطلق على القرية اسم قصر لوزة أي اللاجئين ، وحين توسعت القرية وصارت في قلب سكانها أصبح اسمها قلب لوزة أي أن معنى اسمها جاء من واقعها كغيرها من القرى ولم يطلق الاسم جزافاً(٩) •

هذا وقد حاول آخرون تفسير اسمها الحالي الى معنى آخر مثبتين اسم قلب لوزة ففسروها على هذا الاسم ، دون الرجوع الى تغيره عبر التاريخ (١٠) •

ونظراً لعدم وجود اسم خاص بالكنيسة دون القرية ، أطلق بعضهم عليها اسم كنيسة الثالوث الاقدس ، من خلال ملاحظاتهم بعد تأملهم في طريقة بنائها ـ وكما سيرد بشكل مفصل أكثر ـ أو لأن الصفيحة المرمرية المكتشفة خارج الكنيسة والمقحمة في بناء بيت حديث ، نقر عليها كتابة سريانية ترجمتها (المتعبد للآب والابن والروح القدس يوحنا بن زكرون) وقطعة المرمر مزخرفة بخطوط وبراويز ، مما حمل بعض الباحثين على الظن أنها كانت جزءاً من درابزين الكنيسة • اذا كان هذا صحيحاً ، تكون الكتابة دليلاً على أن الكنيسة كانت على اسم الثالوث الاقدس • وهذه البلاطة تبرع بها أحد المؤمنين يوحنا بن زكرون لتكون جزءاً من أثاث الكنيسة (١١) ولذلك لا بأس من اطلاق اسم كنيسة الثالوث الاقدس عليها وتعني كنيسة الآب والابن والروح القدس •• ولكن اسم قلب لوزة قد غلب عليها عند عامة الناس والباحثين •

ولنا ملاحظة أخيرة : يطلق الباحثون عليها اسم كاتدرائية وليس كنيسة ، لانها مبنية على الطراز البازليكي وكما سيرد تفصيلا في طريقة بنائها ووصفه •

تاريخها : تباينت الآراء حول سنة انشائها لعدم وجود كتابة تشير الى تاريخها • فوغويه أول من زارها من الباحثين قال انها من القرن السادس • وبطلر الباحث الامريكي قال انها ترقى الى حوالي عام ٤٨٠ م وتشالينكو قال أنها ترقى الى نهاية القرن الخامس وفي بحث آخر قال حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي والاب بطرس صو يقول انها سبقت تشييد الكنيسة الكبرى المصلبة في قلعة سمعان ، وبما أن هذه قد بنيت حوالي سنة ٤٨٠ م فتكون كنيسة قلب لوزة ترقى الى ما قبل ذلك بقليل • وبرأي غروسمان أنها قريبة في طرازها بشكل دقيق من كنيسة بطير في جبل الاعلى والمؤرخة بسنة ٤٦٩ م فلا جدال بأنها أيضاً ترقى الى منتصف القرن الخامس

الميلادي أيضاً • وفي آخر الدراسات عنها للباحث الاثري سوديني أشار أيضاً لكنيسة بطير وان التاريخ المنقوش على ساكفة بابها ينبغي أن يكون ٤٧١ م ذات الصحن الواحد ، وانه بدون شك فان كنيسة قلب لوزة ذات الصحون الثلاث تعود الى وقت لاحق لتاريخ ٤٧١ م • وفي بحث آخر نشره تشالينكو قال : « ان الصورة المخططة للقديس سمعان العمودي بين النافذتين السفليتين للواجهة الغربية ، يمكن أن تكون قد نحتت خلال تشييد الكنيسة في حياة القديس سمعان أو بعد وفاته في عام ٤٥٩ م(١٢) » •

ونحن نميل الى هذا الرأي ، ونقول بعد عرض ما سبق أنها من كنائس القرن الخامس ـ الربع الثالث منه ، وظلت تستخدم كمعبد ديني ، تقام فيها الطقوس والاحتفالات الدينية الى غاية القرن الثاني عشر الميلادي ••

الوصف المعماري

لو أردنا الحديث عن الكنائس في محافظة ادلب لتطلب هذا العمل مجلدات ، ولكننا في هذا الموجز نوضح طراز بناء الكنائس في المحافظة أو في الشمال السوري •

الكنيسة هي مكان العبادة الخاص بأتباع الدين المسيحي ، وقد يبنى في القرية كنيسة واحدة أو أكثر ، وتتشكل الكنيسة من أقسام أهمها :

١ ـ الرواق أو الدهليز NARTHEX : وهو الممر المسقوف أمام الكنيسة •

٢ ـ الصحن : وهو المكان المخصص لاجتماع الناس في الكنيسة ،

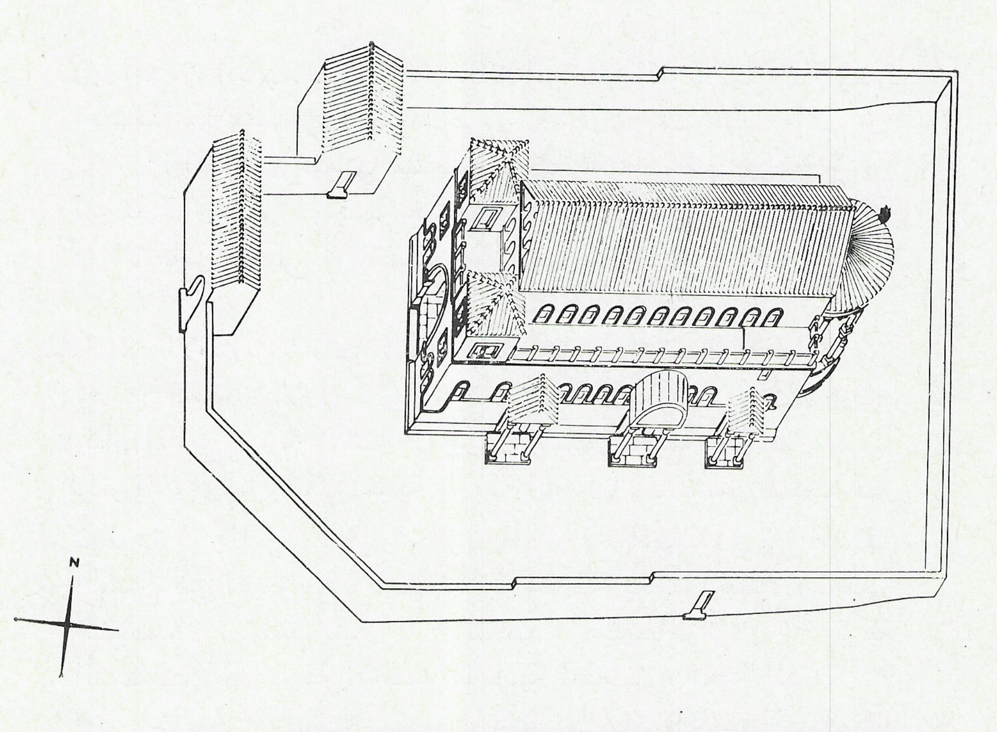
ويمتد من الباب حتى قدس الاقداس . واذا كانت الكنيسة مشكلة من صحن واحد تدعى CHAPEL كـ كنيسة قرق بيزة . واذا كان صحنها مشكلاً من ثلاثة أجنحة (أو أسواق أو أروقة) أو أكثر أي فيها ثلاثة صحون ضمن صفين من العواميد أو الركائز فتدعى (بازليك) كما هي حال كنيسة قلب لوزة .

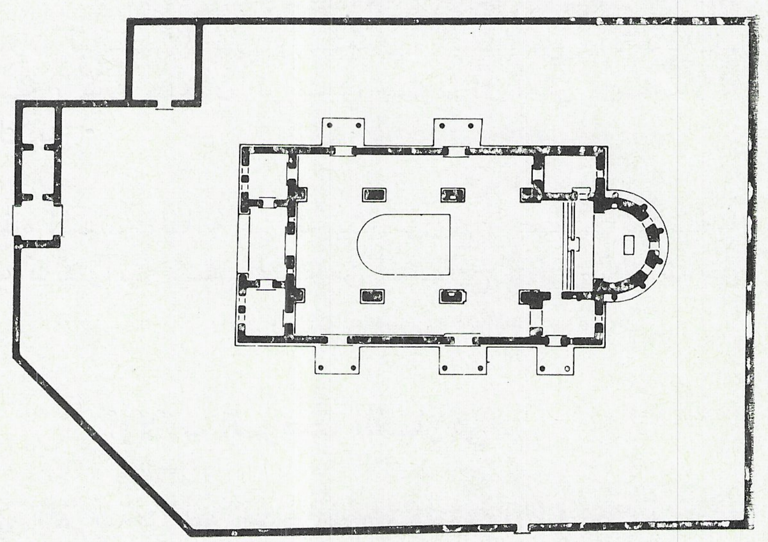
٣ ـ قدس الاقداس : وهو الشطر الشرقي في الكنيسة والمؤلف من ثلاثة أقسام : الاول : بيت القدس أو الهيكل في الوسط وفيه يقام المذبح ، وهو اما أن يكون بشكل حنية أي قبة نصف دائرية ، واما بشكل غرفة مربعة الزوايا مستوية السقف غير معقودة . والثاني : المارتيريون أو غرفة الشهداء وهي الغرفة اليمنى أي الجنوبية ، وهي غرفة خاصة بحفظ عظام وذخائر الشهداء أو القديسين . والثالث : الدياكونيكن أو غرفة الشمامسة أو غرفة الخدمة المحاذية للمذبح لجهة الشمال . وهي خاصة بالكهنة يضعون فيها الاواني الكنسية ، وفيها يرتدون لباسهم الديني ويستعدون للقداس والاحتفالات الدينية ، كأن يضعون الزيت في جرن أو أكثر ويأخذونه للتبارك به .

بعد هذه المقدمة العامة عن طريقة توزيع وتصميم الكنيسة ، نبدأ بوصف كاتدرائية قلب لوزة من الخارج أولاً ومن الداخل ثانياً .

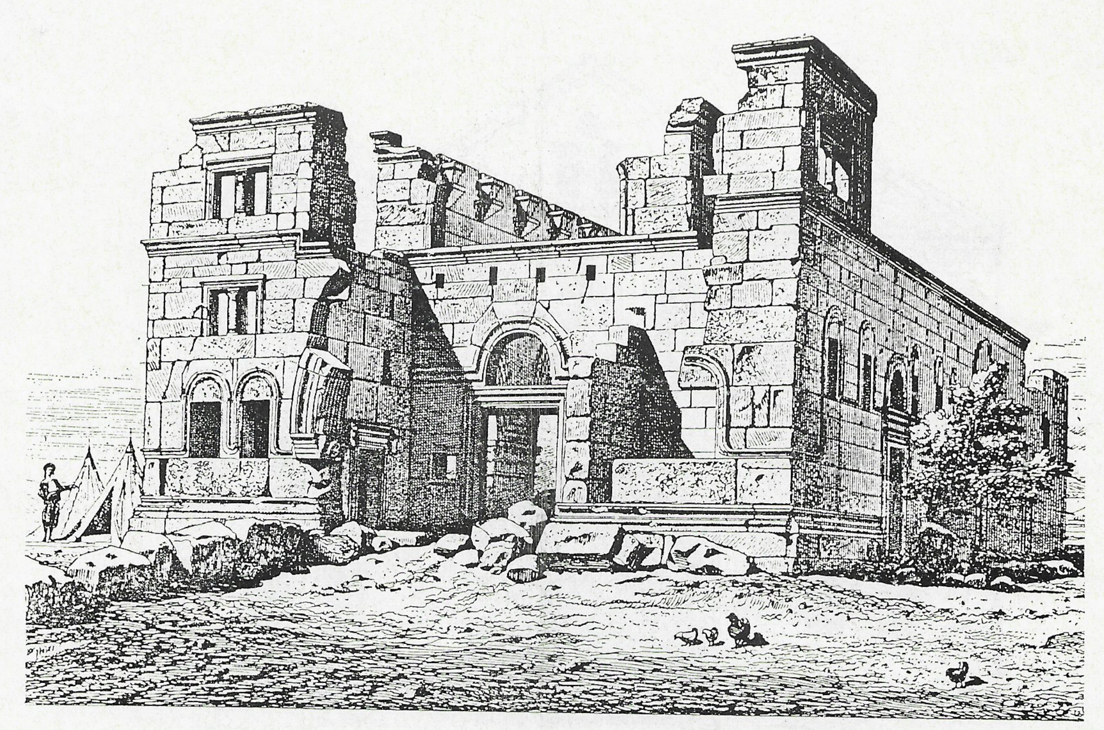
أولاً ـ الوصف الخارجي

الواجهة الغربية : لعل أجمل صورة يلتقطها المرء حين زيارته هي الواجهة الغربية في بنائها الشامخ ومنظرها الذي يأخذ العيون ،



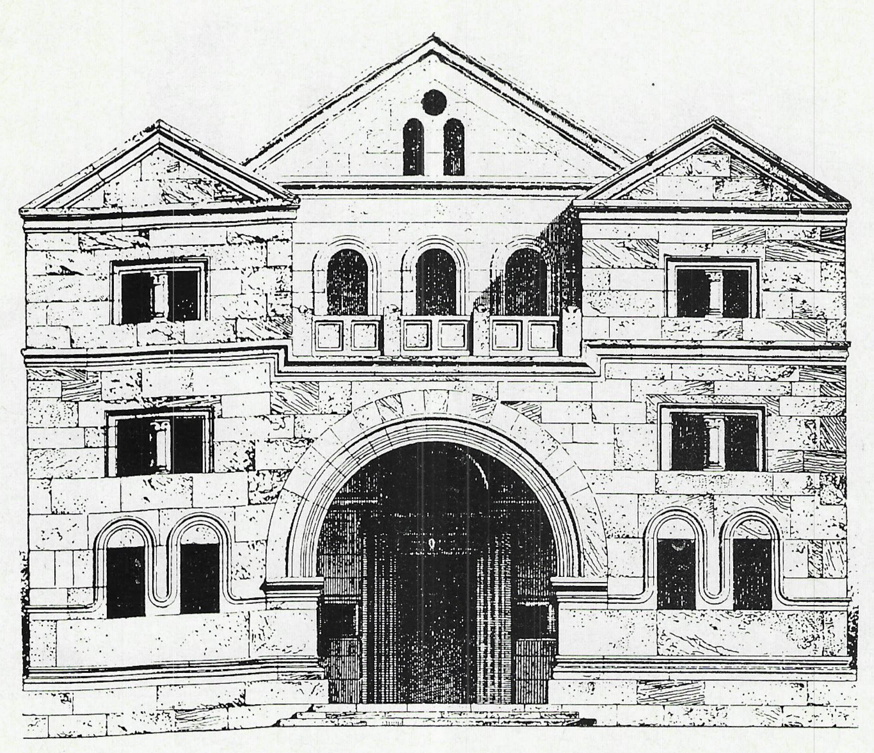


مخطط الكنيسة واعادة تصور بنائها (عن شالنكو)



رسم الواجهة الغربية الامامية • (عن فوغوية ١٨٦٢ م)

أذ تظهر فيها عظمة هذا البناء في ضخامته وتناسقه البديع ، وروائع زخارفه • فالمدخل في الوسط يقع بين برجين • فـوقه قنطرة كبيرة فخمة • وارتفاع هذا المدخل يعادل مستـوى الطابقين السفليين في البرجين وفوق قنطرته تقف شرفة يكتنف حافتها الامامية درابزون • ووراء هذا السطح يرتفع القسم الاعلى من السوق الاوسط المتكون من طابقين : في الطابق الاول ثلاثة أبواب مقوسة الاعتاب تكتنفها براويز نافرة والطابق الاعلى مثلث في وسطه ثلاث نوافذ ويكتنفه أفريز نافـر • ومما يزيد في تألـق وجمال هذه الواجهة الافاريـز والبراويز النافرة البارزة الخطوط التي تبرز الحدود بين الطوابق الاربعة • فعند أسفل البناء برواز • والمثلثات الثلاثة التي تكلل



اعادة تصور بناء الواجهة الامامية (عن فوغوية)

أعلاه مبروزة . وبين الطابق الثاني والثالث برواز . والطابق الاول يتوسطه برواز يحيط بالشبابيك ويمتد الى أطراف البناء وزواياه . وكل الشبابيك والقناطر والفتحات والنوافذ والابواب مزينة ببراويز . وهذه البراويز التي تزين الواجهة الغربية تمتد على الجهات الاربع من البناء بالشكل ذاته فتبرز جمال كل قسم وتكتنف كل باب أو شباك أو نافذة أو طابق وأي جزء من البناء بهالة خاصة رائعة تلفت النظر الى هذا الجزء وتضفي عليه جمالاً فريداً مميزا . فهذه البراويز والافاريز تخلق اختلافاً بين المساحات الملساء والمساحات النافرة ، وبين النور والظلمة ، فتميز البناء

بالتنوع واختلاف الاشكال والالوان وتنفي الافراط في الاتساق الباهت الممل(١٣) ٠

وأما البرجان اليميني والشمالي ، فكل منهما متشكل من ثلاث طبقات ٠ في الاول شباكان مربعا الزوايا ، يتصل بهما اطار نافر ، طرفه العلوي نصف دائري ٠ فيبدو الشباك وكأنه مقوس العتبة ٠ وفي الطابق الثاني شباكان مربعا الزوايا يفصل بينهما عمود نحيف أنيق يشد نظرك نحوه بجماله ٠ ويتصل بهما اطار نافر ذو زخرفة خطوطية بارزة ٠ وفي الطابق الثالث شباكان بذات النموذج ، ومما يلفت النظر أن الاعمدة القائمة بين النوافذ محلاة بنقوش مختلفة وفي احداها على اليسار نحت يمثل القديس سمعان العمودي ، هذا الناسك الذي كان يتعبد ربه لسنين فوق عمود في الكنيسة المسماة باسمه في جبل سمعان ٠

وأما الطابق الاعلى من البرج ، فهو مثلث يكتنفه على الجهات الثلاث برواز نافر أو ما يدعى افريز ٠ وكان لهذين درجان زائلان كانا يؤديان الى سطح الرواق وسطحي الجناحين الجانبيين ٠ وبرأي تشالينكو أنه من هذا المكان يمكن متابعة القداس من المنور ٠ وفي ذلك دلالة على العدد الكبير من المصلين ، وهو شيء متوقع في مكان يحج الناس اليه ٠

الواجهة الجنوبية : فيها تسع نوافذ (شبابيك) وثلاثة أبواب وأجمل الابواب الاوسط الغني بالزخارف والاتقان في الفن نقر فوقه اسما الملاكين ميخائيل وجبرائيل ، وتحتهما آثار رسمي الملاكين ، ونشاهد طمسهما عمداً بمطرقة ، وقد أبدى بعضهم الرأي أن الكنيسة على اسم الملاكين ٠

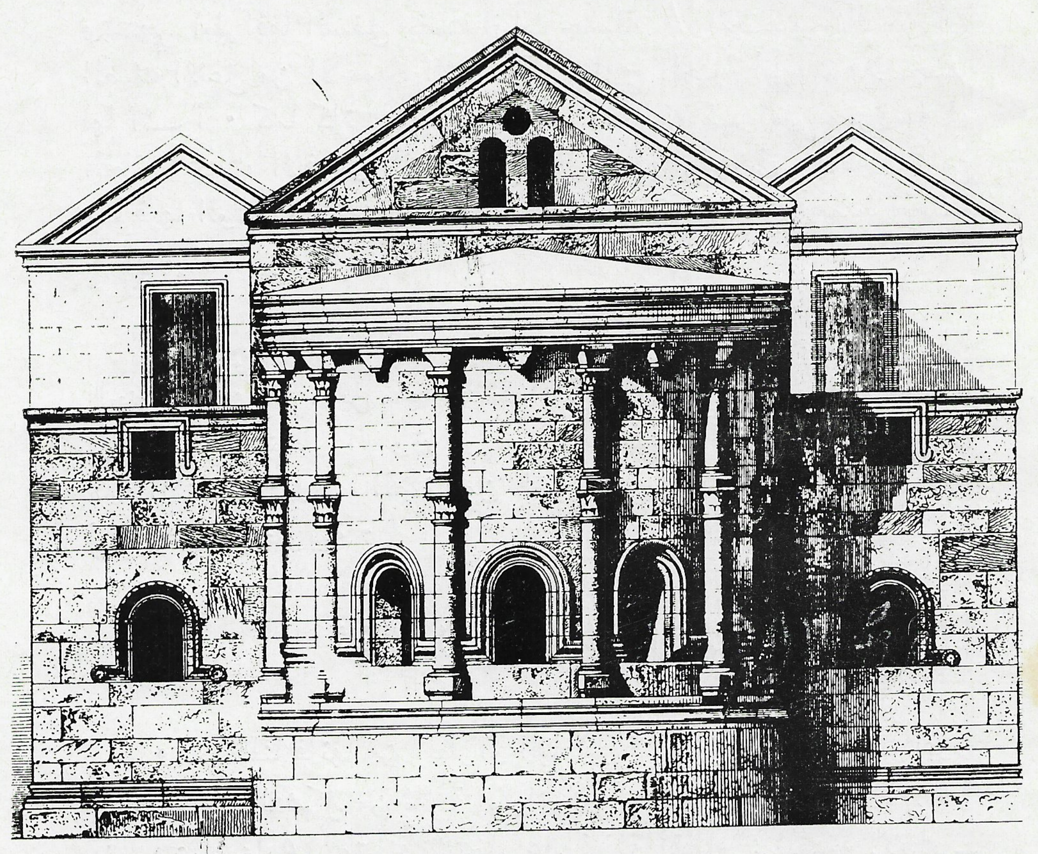
وتحيط بالباب رسوم مختلفة هي : ١ ــ أوراق نباتية مضفورة

تتخللها صلبان ونجوم ٢ ـ شريط من الدانتيلا ٣ ـ أثلام وخطوط هندسية ٤ ـ سلسلة من الزرد ٥ ـ رسوم هندسية تتبعها سبحة من الحبوب والبكر والبراويز وخط هندسي متعرج . وتكتنف هذه البراويز المدخل على جهاته الثلاث . وفوق هذا الاطار أقيم افريز نافر فوقه قنطرة صغيرة مزينة ببراويز منها ما هو نافر ومنها ما هو مجوف .

وأما البابان الاخران في هذه الواجهة فمزينان باطارات وبراويز مماثلة للاوسط ، ولكن بشكل أقل زخرفة . ويظلل كل باب في هذه الواجهة رواق أنيق كان قائماً فوق أعمدة . ولم يبق منها غير التجويفات التي كانت مواقع في الحائط للاطراف العواض وبلاطات سقوفها . وفيها صفان من الشبابيك الاسفل في أعلى جدار السوق الجانبية . الصف الاسفل يحتوي على تسعة شبابيك . والصف الاعلى على أحد عشر شباكاً ، وفي معظم الكنائس بابان باب للرجال وباب للنساء ، بينما في هذه الكنيسة يوجد ثلاثة أبواب . وفي رأي بعضهم أن الباب الاوسط المتميز عن الاخرين قد كان مخصصاً للرجال ، بينما آخرون قالوا انه الباب الذي تلج منه الى الكنيسة المواكب الدينية الرسمية . وما ينطبق على هذا الباب في كنيسة قلب لوزة ينطبق في بقية الكنائس على الباب الاول من جهة الشرق في الواجهة الجنوبية التي لا يوجد فيها عادة الا بابان فقط[١٤] . وانني أتفق مع من يرجح أن الباب الاوسط كان يفتح في المناسبات فقط .

الواجهة الشرقية : وتشتمل بشكل رئيسي على حنية الهيكل الاوسط المستديرة والبارزة في النتوء الخارجي وهي محمولة على صف من الاعمدة الجميلة فوق بعضها . وهي تشبه الكنائس الغوطية . كما أنها مزينة بزينة تشابه حنية كنيسة قلعة سمعان بصفين من الاعمدة الواحد فوق الآخر . لكن الفرق بينهما أن بين الصفين في كنيسة مار سمعان افريزاً نافراً على حين لا نرى في كنيسة

قلب لوزة هذا الافريز • ولكن قاعدة العمود الاعلى ترتكز على تاج العمود الاسفل مباشرة وتيجان هذه الاعمدة على غاية من الجمال والروعة •



أعادة هندسة الحنية والواجهة الشرقية (عن فوغوية)

وفي هذه الحنية ثلاثة شبابيك مقوسة الاعتاب ، ذات براويز خطوطها رائعة ، وتنعكف على ذاتها • ويتقدم هذه الحنية ممر عميق لم يصبح بعد جزءاً من الحنية ، بل هو جزء من الجناح الرئيسي

نفسه عند أسفل الشبابيك في استدارة رائعة جداً ٠

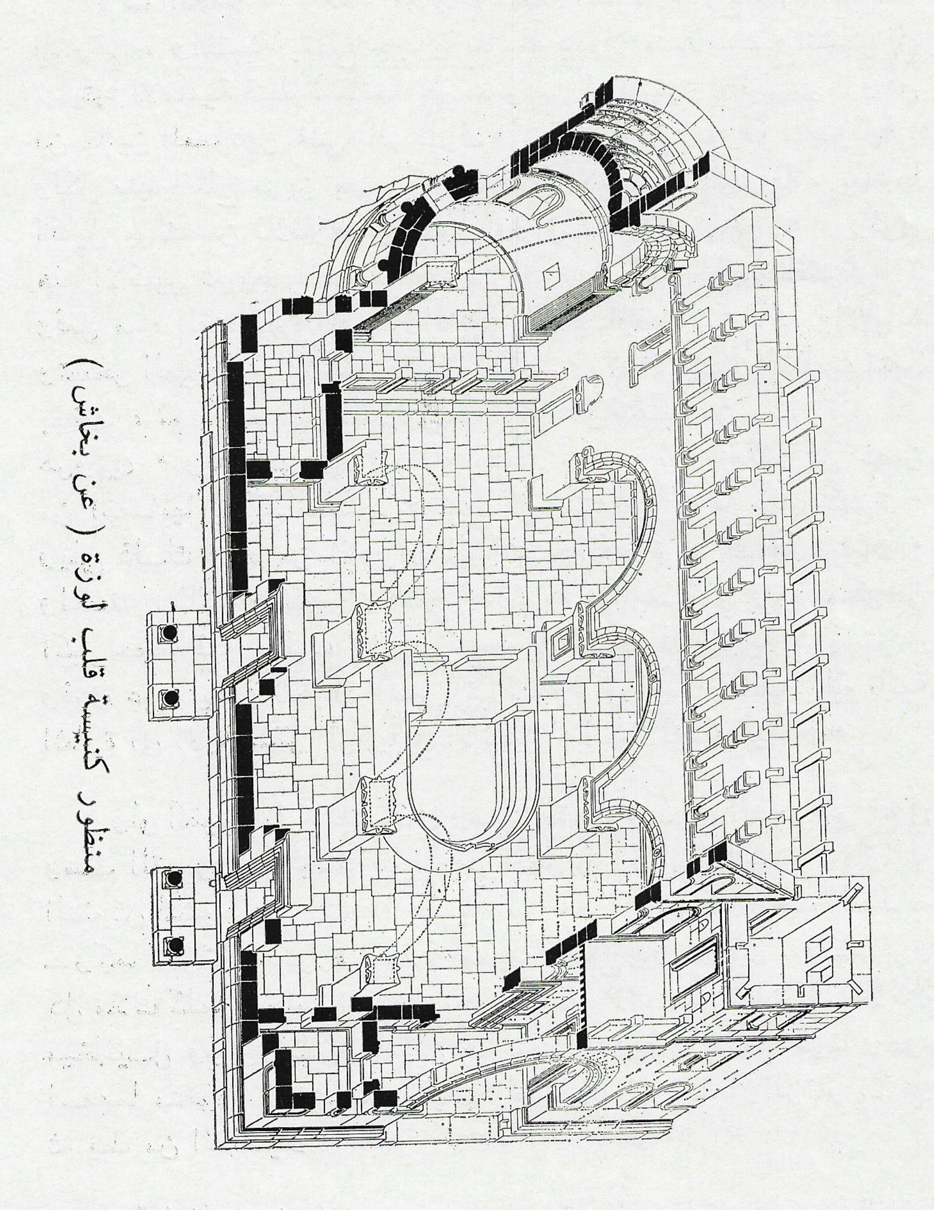
وفي الحائط الشرقي بكل من غرفتي الشهداء والشمامسة شباك مقوس العتبة أيضاً ٠ ومزين باطار بروازي ناتىء بديع الشكل ، وتنتهي أطرافها السفلى باستدارات جميلة ٠ والجدير بالذكر أن الصف الاعلى من الاعمدة التي تزين خارج الحنية أزيلت فلا نجد لها أثراً ٠ كما كانت تعلو رؤوس أعمدته كراسٍ مغروسة في الحائط تحت الافريز الذي كان يكلل أعلى البناء في جهاته الاربع بما فيها الواجهة الشرقية ٠ وأما الصف الاسفل من أعمدة الحنية الخارجيةفلا يزال في مكانه ٠

الواجهة الشمالية : يبدو أن هذه الواجهة قد كانت تشبه الجنوبية ، ولكن أزيل منها حائط السوق الجانبي وسقفها ، مما أدى الى انكشاف قناطر السوق الوسطى الداخلية وصف الشبابيك فوق هذه القناطر ٠ وهذا الصف من الشبابيك يشبه تماماً الصف المقابل في الواجهة الجنوبية ٠

ثانياً ـ الوصف الداخلي

وكما قلنا فانها من الطراز البازيليكي المبني على الركائز دون الاعمدة ، والمتشكل من ثلاثة أسواق أو أجنحة طولها من الداخل ٢٥ متر وعرضها ١٥ متر وتشتمل على ثلاثة أقسام : القسم الاول ـ قدس الاقداس والقسم الثاني ـ الصحن والقسم الثالث ـ الرواق أو الدهليز :

القسم الاول ـ قدس الاقداس : يتصدر السوق الوسطى من صحن الكنيسة ، ويتشكل من الحنية وغرفتي الشهداء والشمامسة ٠



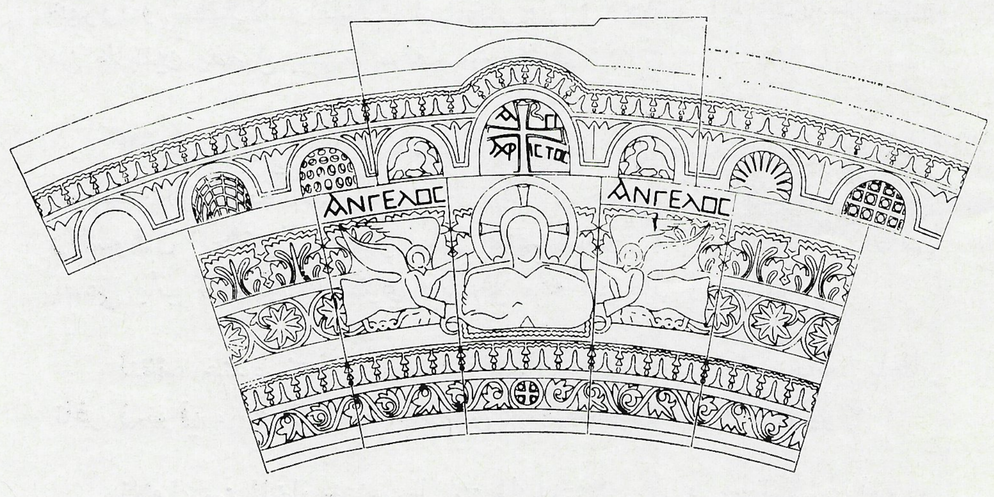
منظور كنيسة قلب لوزة (عن بطاش)

آ ـ **الحنية :** وهذه الحنية الفخمة الناتئة خارج خط الحائط الشرقي ، والمقببة بقطع حجرية قائمة بدون مـلاط ، ولتشكل في نهايتها الامامية قنطرة قائمة على عمودين في اليمين واليسار ٠ وكل من هذين العمودين غني بالزخارف ذات الخطوط المجوفة العمودية ، ولكل منهما تاج مزين بعصابة أفقية من الاغصان المتعرجة ، يعلوها اكليل مؤلف من ثلاثة صفوف من أوراق الاكانت المنتصبة ٠ وفوق هذا الاكليل شريط أفقي ينطلق من الزخرف الذي يكسو القنطرة ٠ ولعل هذه القنطـرة المهيبة والغنية بالزخـارف التي تأخذ بالالباب وتسحر العيون من الاسفل للاعلى نشاهد ورق الاكانت اللولبية تتبع بعضها ، ثم شريط من الدانتيـلا ، ثم دالية عنب من اناء أنيق ذي عروتين ٠ وتنساب هذه الدالية بشكل متعرج ، وينعكف كل غصن من أغصانها بشكل مستدير وتملأ كل استدارة ورقة عنب كبيرة ٠ ويلي ذلـك زنار من الاوراق النباتيـة الكبيرة تتخلـلها صلبان ٠ والصف الثاني مشكل من قناطر دائرية متتابعـة في وسطها قرص أكبر حجماً فيه صليب واسم السيد المسيـح باليونانية كريستوس وفوق على اليمين الحرف السرياني الف والى اليسار الف باليونانية اشارة الى الاية سفر الرؤيا في الانجيل « أنا الالف والياء » ٠

ولو ألقينا نظرة تأملية في وسط القنطرة ـ أي الحجر الواقع في وسط القوس ـ لوجدنا يد الجهل المخربة قد نالت منه ، فأزالت النقوش لتشوه هذه التحفة الفنية الرائعة ٠ وقد كان تحت الصليب ـ وكما ذكرنا ـ صورة نصفية للسيد المسيح بين ملاكين ، ونقش فوق كل ملاك كلمة انجلوس وتعني باليونانية ملاك، ويرمزان الى الملاكين ميخائيـل وجبرائيـل حاميا الكنيسة السورية ٠ وقد ذكرنا وجود اسمهما منقوراً فوق مدخل الباب الجنوبي الاوسط ٠ والزنار الاخير شريط من الدانتيلا ٠

وأما الصفوف الاخيرة من زخرف الحنية فترتـكز أطرافها

السفلى علـى أعمدة نحيفة ، تفصل بـين كل صف وأخـر خطوط وزنانير .



رسم الزخرفة العليا لقنطرة الحنية (عن شالنكو)

وفي صدر الحنية توجد ثلاث نوافذ . وفي وسط الحنية شريط حجري بزخارف رائعة .

ب ـ غرفة الشهداء : وتدعى عند الباحثـين الغربيين باسم (مارتيريون) وهي على اليمين من الجنوب وهي غرفة خاصة بحفظ عظام الشهداء والقديسين .

ج ـ غرفة الشمامسة : وتدعى عند الباحثين الغربيين باسم (دياكونيكن) وهي على اليسار من الشمال ، غرفة خاصة يضع فيها الكهنة لباسهم وحاجاتهم الدينية .

وهاتان الغرفتان غير ملاصقتين للحنية ذات النتوء الخارجي ، وكما هو في كاتدرائية مار سمعان العمودي . وأما الحائط الشرقي

الذي يحد كلاً منهما قائم بمستوى الحد الفاصل بين الحنية والسوق وان هنالك فراغاً عن يمين الحنية وشمالها يجعلها أبرز وأكثر ظهوراً واستقلالاً وانطلاقاً في الخارج ٠٠ وهاتان الغرفتان مؤلفتان من طابقين يفصل بينهما سقف من بلاط(١٥) ٠

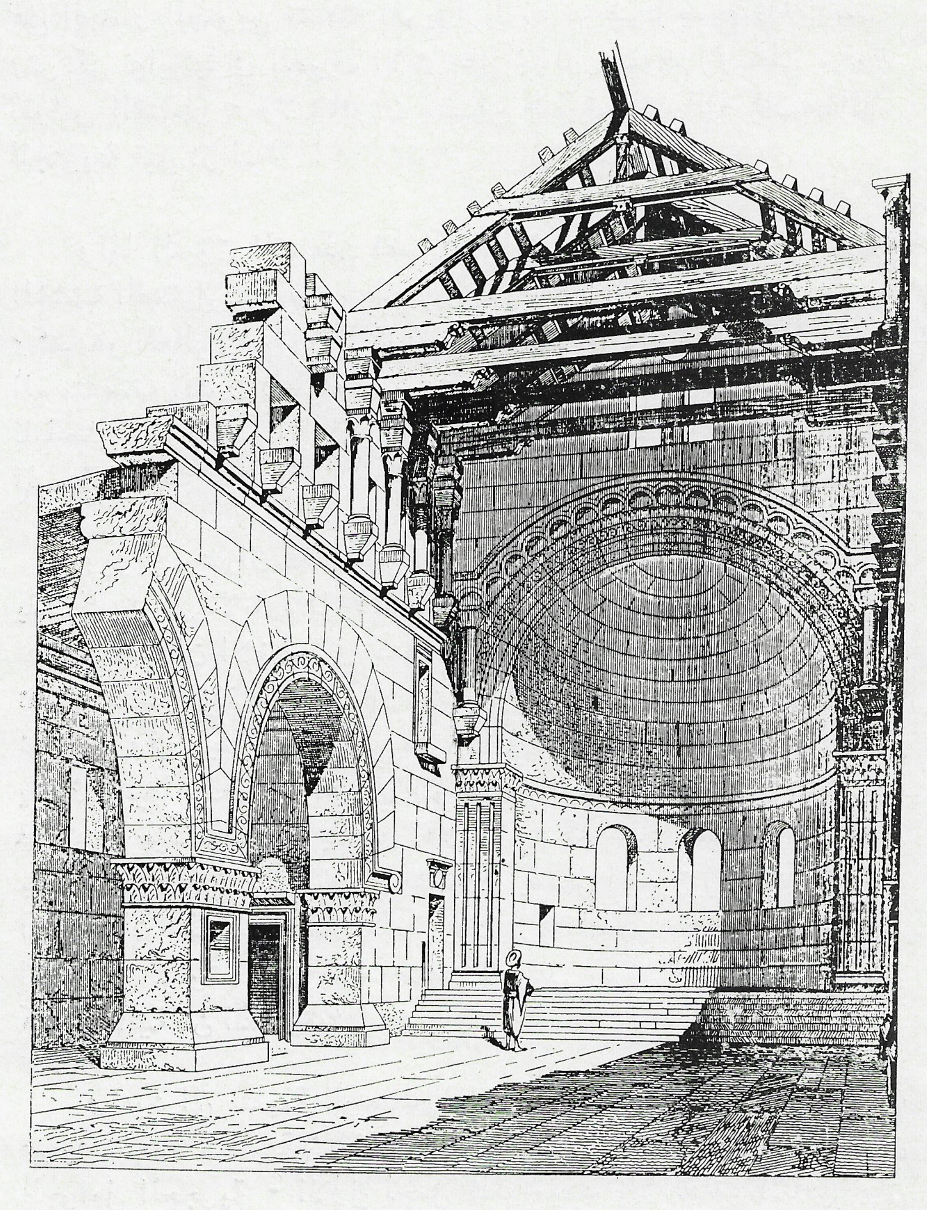
القسم الثاني ـ الصحن : يتشكل من صفين من القناطر الواسعة الى ثلاثة أسواق أو أروقة أو جناح ٠٠ السوق الوسطى والسوقان الجانبيان ٠ الوسطى تنتهي بالحنية ، ولها مدخل أمامي يدعى باب الصحن المركزي ويدخل منه الرجال والنساء ٠

لنقف عنده نتأمل عظمته وجمال زخارفه ، فهو محاط باطار نافر زخرفي ، ذي زينة مشكلة من ستة صفوف من البراويز ٠

الاول من الخارج شريط من الدانتيلا ، تليه عصابة من أوراق الاكانت العريضة ، ثم برواز متكون من دالية بأوراقها وعناقيدها والتواءاتها اللولبية ، وتتبعه سبحة من الحبوب والاكر ٠ ثم عصائب من الخطوط النافرة والمجوفة ثم حبل مجدول ٠

وفي وسط العتبة قرص مستدير يتوسطه صليب تنبثق منه الاشعة ويحيط به اكليل من أوراق نباتية ٠ وفوق العتبة قنطرة صغيرة مزخرفة ببراويز تحيق بعقد القوس وتمتد أفقياً يميناً ويساراً من أسفل القنطرة حتى نهاية الجدار(١٦) ٠

وأما السوقان الجانبيان فينتهيان بغرفتين : الجنوبية تتصدرها غرفة الشهداء ، والشمالية تتصدرها غرفة الشمامسة ٠ وفي السوق الجنوبية اذا رفعنا رأسنا نشاهد السقف الذي يتكون من البلاطات الحجرية طولها خمسة أمتار وهي مستوية ، بخلاف بقية الكنائس التي كانت سقوف أسواقها منحنية ٠ ترتكز نهاياتها في طرفها الواحد



رسم لصحن الكنيسة وحنيتها و بقايا سقفها • (عن فوغوية)

على الجدار الجنوبي مشكلة افريزاً بارزاً مزخرفاً بديع الخطوط ، وترتكز نهاياتها في الطرف الاخر على جدار السوق الوسطى ، فوق أقواس القناطر • ولا شك أن سقف السوق الشمالية كان مماثلاً للجنوبية قبل ازالته(١٧) •

وأما السوق الوسطى فقد كان أكثر ارتفاعاً ومغطى بقطع الخشب الصقيل ـ يعلوه سطح من القرميد ـ ومنحدراً على الجانبين وكما هو الحال في سقوف الكنائس القديمة في سورية • وظلت بقاياه الى منتصف القرن التاسع عشر ، وقد رسم الفنان دوتوا المرافق للباحث فوغوية عام ١٨٦٢ بقايا هذا السقف ـ انظر الرسوم المرفقة •

ويزين جدران هذا السقف احدى عشرة نافذة على الجانبين ، بذلك تتوفر الانارة الى داخل الكنيسة ، ويقول العالم الاثري تشالينكو : ان الاضاءة في كنيسة قلب لوزة هي من ميزاتها التي تلفت النظر ، ففي كل جدار من جداري الجناحين الجانبيين تسع نوافذ • وفي الجناح الرئيسي منوران في كل منهما احدى عشرة نافذة يضاف اليها ثلاث نوافذ في الواجهة الغربية وثلاث في الحنية ، فالكنيسة ليست غارقة بالنور المتدفق من كل هذه الفتحات فحسب ، بل ان النور فوق ذلك موزع بتساوق بفضل اتساع الاقواس لدرجة أن البنيان الثقيل يبدو كأنه يتلاشى في فضاء • ويزيد من هذا الانطباع كسوة ملونة بقيت منها آثار على الزخارف المنحوتة التي كانت خالية من الكسوة(١٨) •

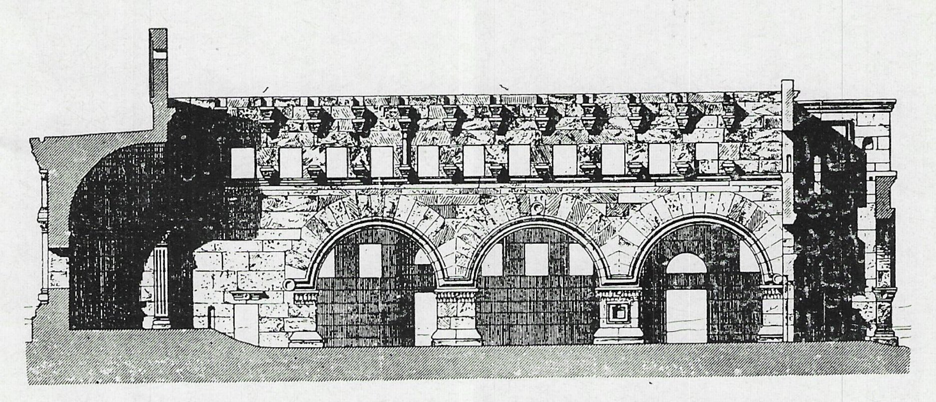
ونعود الى متابعة الوصف الاثري اذ نلاحظ في أعلى الجدران وجود أعمدة متتابعة نحيفة فيها ابداع رشيق نقرت بين صفين من الحوامل الحجرية • الاولى لحمل العواميد ، والصف الثاني جعل لتغطية تيجانها من جهة ، ولحمل أخشاب السقف من جهة ثانية •



مدخــل الصحن بزخارفه ونقوشه .

ونلاحظ بشكل رئيسي أن ما يميز هذه الكنيسة قناطرها المتمركزة على دعامات ضخمة تدعى أيضاً بالركائز بدلاً من الاعمدة يتوضع

فوقها صفين من القناطر ، يتألف كل صف من ثلاث قناطر واسعة المدى ، وهي أيضاً مزينة بجدائل من أوراق الغار وسبحات من الحبوب وعصائب من الدانتيلا وأثلام مجوفة وخطوط وزنانير بارزة نافرة •



رسم المقطع الافقي وتظهر فيه الركائز الثلاث والنوافذ
(عن فوغويه)

والقنطرتان الشرقيتان في الصحن لا تستندان الى صدر الحنية ، بل تنتهيان على مسافة ستة أمتار منه حيث يبتدىء الحائط الداخلي لكل من غرفتي الشهداء والشمامسة • وهذه المساحة بين القنطرتين الاخيرتين في الصحن خصصتا لصلاة الاكليروس أي لرجال الدين كما نلاحظ في الدعامة المركزية لكل من صفي القناطر وتحت التاج تجويف يحيط به اطار زخرفي نافر وكأنه خزانة صغيرة ، كانت مخصصة لحفظ الكتب المقدسة وبعض الاواني •

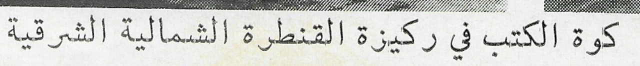
وأما أرض الكنيسة فمفروشة ببلاط مصقول ، ما زال معظمه سليماً • وحين البحث عن المنبر (بيما) والذي كان يوضع في وسط الصحن ، فقد أزيل ، ولكن آثاره ما زالت واضحة ، بمدماكه الاساسي الذي كان بمستوى بلاط الكنيسة • وكان يبلغ طوله نحو

صورة داخلية للركائز وقناطرها



مكان المنبر (البيما)





كوة الكتب في ركيزة القنطرة الشمالية الشرقية

ثمانية أمتار وعرضه خمسة أمتار وثمانية سنتيمترات • وكان يقع بين الركائز الاربعة القائمة في وسط الصحن على بعد اثني عشر متراً ونصف من الحنية وخمسة أمتار ونصف من الجدار الغربي ومتر وثلاثة وثلاثين سنتيمتراً من صف القناطر(١٩) • ويجتمع في هذه الاروقة الثلاث المصلون اليمين واليسار للنساء ، وفي الوسط للرجال •

القسم الثالث ـ الدهليز أو الرواق : وكذلك نجده كغيره مؤلفاً من ثلاثة أقسام مدخل في الوسط بعرض السوق الوسطى ، تتصدره قنطرة عظيمة كان يعلوها سقف خشبي مغطى بالقرميد • وغرفتان ترتفعان كبرجين عن اليمين والشمال ، ويدخل اليهما من المدخل الاوسط • ونضيف الى رأي تشالينكو السابق حول انارة الكنيسة انه كان في الواجهة الغربية الوسطى للسطح الخارجي العلوي ثلاث نوافذ •

الوضع العام : من خلال وصفنا السابق تتوضح أمامنا الصورة المعمارية العامة لهذه الكنيسة العظيمة ، والتي ما زالت في حالة لا بأس بها ، ما عدا السطوح والسقوف والحائط الخارجي للسوق الجانبية الشمالية • ويوجد ضرر جزئي في الواجهة الرئيسية الغربية بسبب الهزات الارضية •

وفي عام ١٩٣٥ تولى العالم الاثري تشالينكو الاشراف على تدعيمها واعداد مخططاتها باسم مصلحة الاثار القديمة ، ثم باشرت فيها بعثة من المعهد الفرنسي للاثار ببيروت بادارة المهندس شالنكو ونشر دراسة جيدة عنها منذ خريف عام ١٩٧٣ • واهتمت بها المديرية العامة للاثار والمتاحف فتم انشاء طريق يسهل زيارتها • وتم دعمها واقامة أبواب حديدية وتخصيص حارس خاص بها • كما أن مصلحة البريد قد أصدرت طابعاً خاصاً بها •

الفلسفة الحضارية في كنيسة قلب لوزة

وتأثيراتها الحضارية

لقد تبين لنا أن طراز بنائها البازليكي ذي الركائز لا الاعمدة. ونجد لهذا الفن المعماري وجوداً في الشمال السوري . وقد نشأ بشكل خاص في منطقة جبلي باريشا والاعلى . واعتمد الكثيرون طراز بنائها كمثل أعلى وصل الى القمة في الفن السوري المسيحي .

وبرأي أن هذا الطراز من العمارة المبني على الرؤيا الفلسفية المسيحية ، والمؤمنة بعقيدة التثليث ـ وكما ورد في بحث الاسم ـ يعتبر قمة الحضارة التي ربطت بين الفكر والعمل في مجال البناء . فحتى الآن لا نجد من يفكر بالبناء ووراءه فكرة فلسفية ، بل نجد الجميع يبنون لاقامة مناسكهم التعبدية دون رؤيا دينية بعيدة المدى، على غرار ما هو حاصل في طريقة بناء كنيسة قلب لوزة .

ان مفهوم التثليث أو الرقم (٣) قد طبق فيها معمارياً في النواحي التالية :

١ ـ تتشكل من ثلاثة أقسام : قدس الاقداس ، والصحن والرواق.

٢ ـ قدس الاقداس يتشكل من ثلاثة أقسام : الحنية ، وغرفة الشهداء ، وغرفة الشمامسة .

٣ ـ والصحن يتألف من ثلاثة أسواق أو أروقة أو أجنحة .

٤ ـ ومن الصحن للمدخل الرئيسي تواجهك ثلاثة أبواب اثنان لغرفتي البرج ، والثالث للمدخل .

٥ ـ وفي الرواق بعد المدخل الرتيسي ثلاثة أبواب ، يمين ، ويسار وأمامي .

٦ ـ والرواق يتألف من ثلاثة أقسام : مدخل في الوسط ، وغرفتين عن اليمين وعن اليسار .

٧ ـ وفي صدر الحنية ثلاث نوافذ .

٨ ـ وفي كل من طرفي الصحن ثلاث قناطر واسعة المدى ، قائمة فوق ركائز .

٩ ـ وفي الواجهة الجنوبية ثلاثة أبواب .

١٠ ـ وبين الصحن والرواق ثلاثة أبواب ، باب للسوق الوسطى ، وباب لكل من السوقين الجانبيين .

١١ ـ ولغرفة الشهداء ثلاثة أبواب .

١٢ ـ والبرج يتكون من ثلاثة طوابق .

١٣ ـ وفي الواجهة الغربية في وسطها ، في الطابق الثالث بين البرجين ثلاث نوافذ ـ انظر رسم دوتوا عام ١٨٦٢ في اعادة تصوره للواجهة الغربية .

١٤ ـ وكذلك نجد الدرابزون مشكلاً من ثلاثة قواطع .

١٥ ـ وفي الواجهة الغربية في وسطها بين البرجين في زاوية واجهة السطح الخارجي يوجد ثلاث نوافذ ـ انظر رسم دوتوا السابق ولو نظرنا ملياً لوجدنا أن الاولى دائرية ، بينما الاثنتين على شكل قنطرة قائمة ، والاولى واقعة بين الاثنتين للاعلى . وبرأي ان الاولى العلوية تمثل الآب والاثنتين الابن والروح القدس ، الواقعتين في ظل ورعاية الاولى .

١٦ ـ ان الزنار الزخرفي المحفور مؤلف من ثلاثة صفوف أو ثلاثة طبقات اشارة الى الثالوث[٢٠] وكما ورد سابقاً في بحث الحنية في زخرفة تاج عمودي القنطرة ، والمزين بعصابة أفقية من الاغصان المتعرجة ، يعلوها اكليل مؤلف من ثلاثة صفوف من أوراق الاكانت ٠

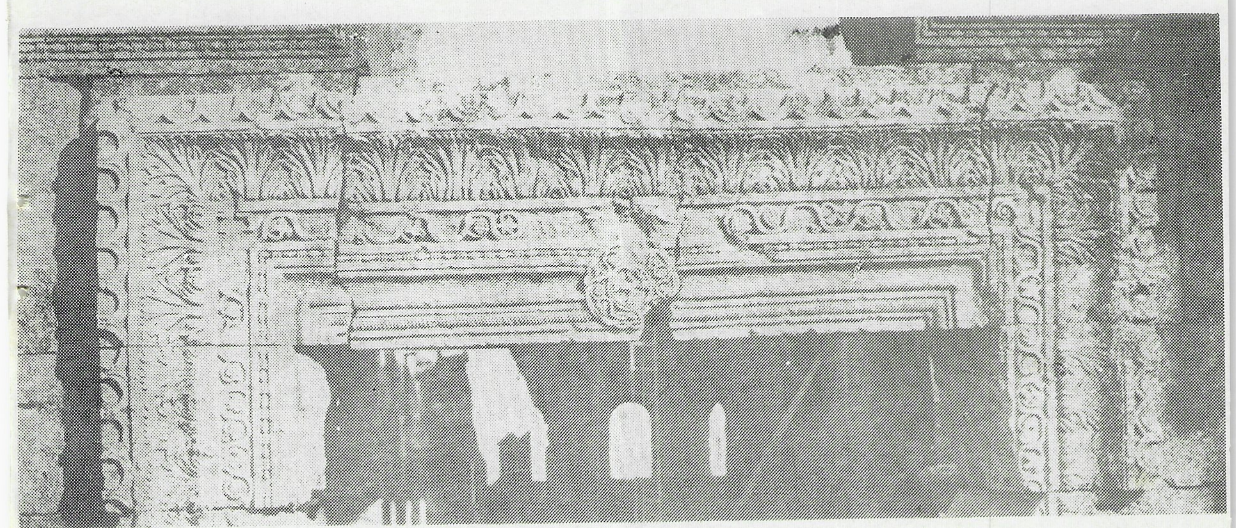
١٧ ـ وفي الشرق من الخارج نشاهد فوق الحنية للاعلى : ثلاث نوافذ هي كما في الواجهة الغربية والمذكورة في البند السابق المرقم بـ ١٣ وكما أعاد رسمه دوتوا وكما كان سابقاً ٠

١٨ ـ وفي نفس الصورة السابقة للحنية نشاهد ثلاث نوافذ على اليمين وثلاث على اليسار للطوابق الثلاث ٠

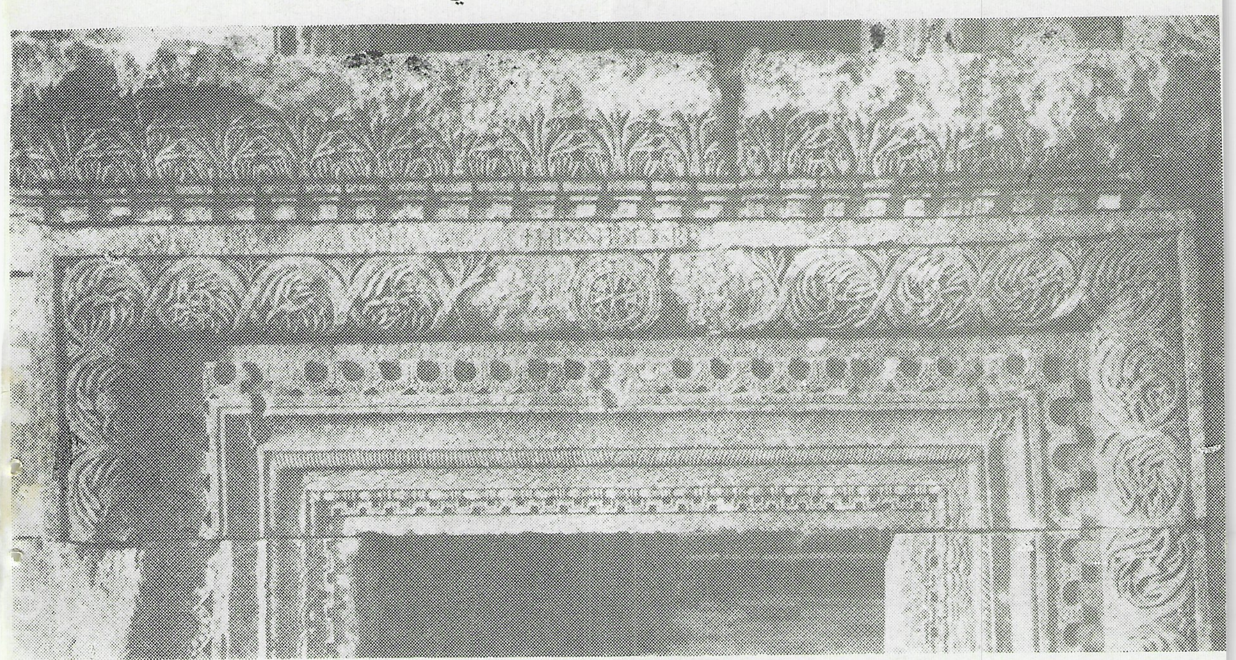
١٩ ـ وأخيراً لو تأملنا السطح العلوي للواجهة الغربية ـ والسطح الشرقي ـ لوجدناه مركباً على شكل ثلاثة مثلثات ، وليس على شكل مثلث واحد ، كما هو سائد في العمارة٠ وهذا أعظم تنظيم معماري وجد حتى الآن ٠

هذا ولا يتسع المقام للحديث عن أبنية أخرى علنا نجد فيها تطبيقاً للفكر في مجال البناء المعماري ، غير الحديث عن بناء جامع سرمين ففيه تسع قباب وتسعة أبواب ، اشارة للأئمة التسعة في الفكر الاسماعيلي والذي كان سائداً في سرمين والقرى الاخرى في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ـ وسترد التفاصيل عنه في كتابنا القادم (ادلب ٠٠ البلدة المنسية) ٠

ويمكن القول ليست الرؤيا الفلسفية المسيحية متجلية فيها بل نجد كذلك في طراز البناء المعماري وزخارفه الفنية تعبيراً عن الواقع الاقتصادي الغني ، وتصويراً لنماذج الزراعة كورق العنب



زخرفة ساكفة المدخل الرئيسي للصحن



زخرفة ساكفة الباب الاوسط الجنوبي

وشجر الغار والنباتات الاخرى • ونظرة فاحصة الى البراويز الانيقة التي تلف الابواب والشبابيك ، هذا الزخرف المتواصل الذي يمتد بدون انقطاع كزنار يلف البناء بكامله على جهاته الاربع هو من خصائص الفن السوري وحده دون غيره • وقد برز لاول مرة في كنيسة قلب لوزة ، هذا ويعتقد الاب ضو أنه يمثل رمزاً دينياً — وهو الثالوث الاقدس الذي يحيط شعبه كسور منيع لا ثغرات فيه[٢١] • وأما تأثيرها المحلي فهذا لم يتنبه له الباحثون بعد ، وسنولي هذا الموضوع أهميته مستقبلاً •

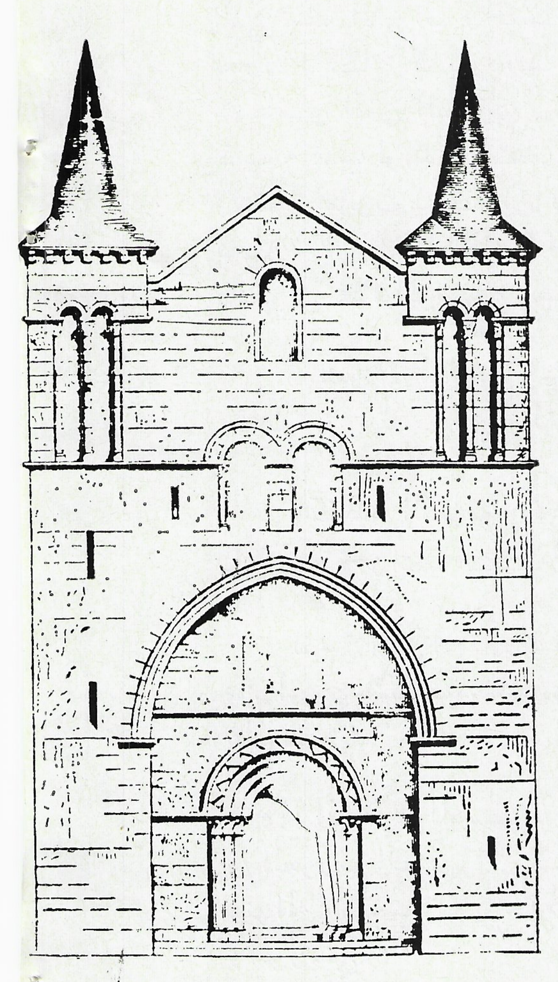
ونشير الى أن رسم بناء كنيسة ترمانين يشابه رسمها في البرجين والطوابق الثلاث وفي تثليث السقف العلوي والتوزيع الداخلي •

وكذلك الكنيسة الجنوبية في رويحا ذات البرجين والابواب الثلاث وفي واجهة سقفها ثلاث نوافذ •

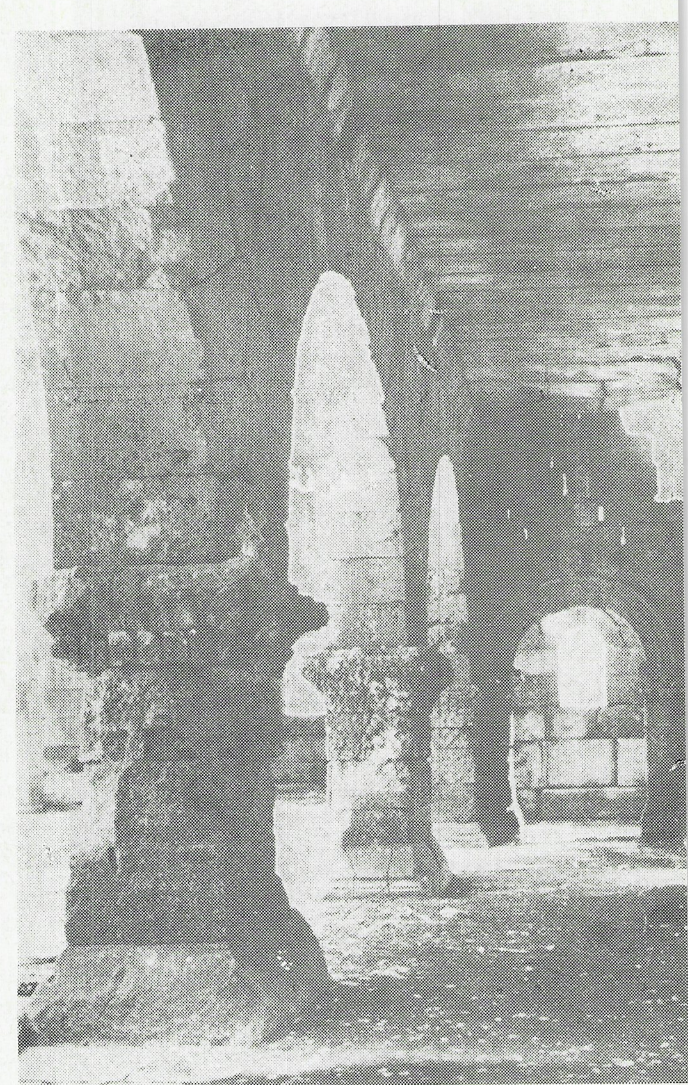
لقد زارها الكثيرون من أقطار العالم ، فأعجبوا بها ، واعتبروها من أروع الكنائس السورية ، وأصبح لها بعد التأثير المحلي تأثيراً عالمياً ••

وفي العصور الوسطى حين تم الاتصال المباشر بين الشرق والغرب في الحروب الصليبية ، نقلوا نمطها المعماري الى الغرب لينسجوا على منواله ، ويبنون ويزخرفون كنائسهم الاوروبية من الطراز الغوطي والرومني ••

لنأخذ مثالاً على ذلك تيجان أعمدة الحنية ذات الجمال الرائع ، الشبه بينها وبين تيجان الكنائس الغوطية والرومنية في فرنسا وأوروبا من الجيل الثاني عشر[٢٢] وقد اتبع هندسة هذه الحنية في باقي حنايا الكنائس الاوروبية من الاجيال الوسطى ، وأما هندستها



كنيسة بنترسون في نورماندي بفرنسا
صورة عن قلب لوزة في تصميمها



الجناح الجنوبي للكنيسة

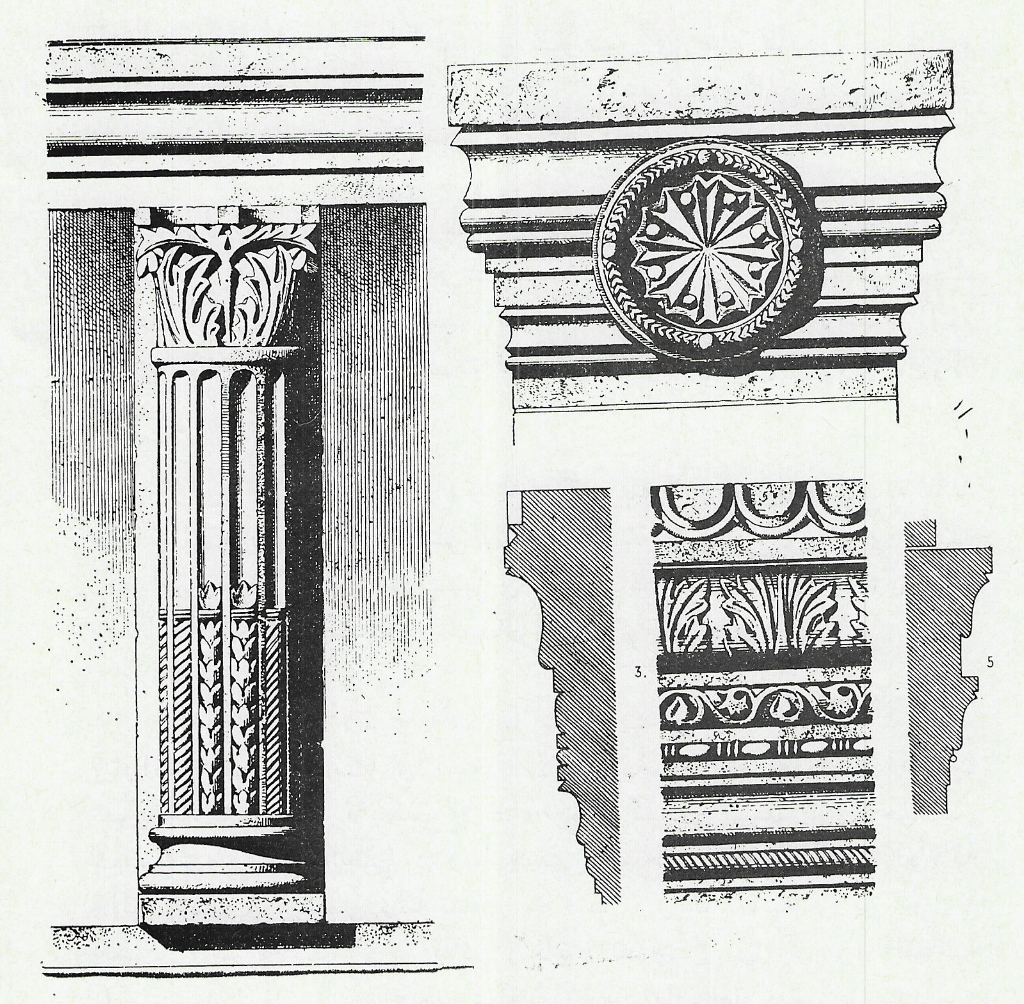
المعمارية فقد استوحاها المهندس بوصان في بناء كاتدرائية سيدة فورفيار في ليون بفرنسا • وكذلك المهندس الايطالي الذي خطط وأشرف على بناء كنيسة التجلي في جبل الطور بالارض المقدسة •

وأول الرواد درساً ورسما دو فوغوية يرافقه الرسام دوتوا عام ١٨٦٢ ، ولتظهر فيما قدماه عظمتها الفنية ، ويطلع عليها كل باحث وأبدى فوغوية رأيه بالواجهة الغربية أنها تحتوي على الاصول التي اتبعها مهندسو واجهات الكنائس والقصور في أوروبا في الاجيال الوسطى[٢٣] •

ويقول الاب (ماترن) والذي قام بدراستها أيضاً عام ١٩٢٨ « لا نبالغ اذا قلنا أن الداخل لهذه الكنيسة لا بد أن يري في نفسه وقعها المهيب والعظيم لما تتميز به من بديع الزخرف والتزويق مما يجعلانها قمة في الهندسة والجمال المعماري »[٢٤] •

وأما العلامة الاثري العالمي الشهرة ـ هوارد بطلر ـ الذي قام بدراستها مع زملائه في البعثة الامريكية في مطلع القرن قال ما تعريبه : مهما قيل لا يكفي لايفاء جمال كنيسة قلب لوزة حقه من حيث الزخرف الداخلي • وما يميز القناطر العظيمة من الاناقة والبراعة في النقش وما تتحلى به قنطرة بيت القدس من الزينة الجزلة والمرنة معاً ، وما يكلل ركائز الصحن من الرسوم النباتية الفذة ، وما هي عليه الاعمدة النحيفة من اللطافة • بذل مهندسو هذا الصرح في تزيين داخله جهداً أكبر مما بذلوه لخارجه ولكنهم لم يبخلوا على الخارج بالزخرف قط[٢٥] •

وأما الاب بطرس ضو فقد أعجب بها كل الاعجاب ، وكال لها المديح مبيناً دواعي ذلك الاعجاب بقوله : يكاد لا يصدق أن يوجد صرح بديع من هذا الطراز الرفيع في ذلك الجيل النائي عن المدن



رسوم تفصيلية لزخارف الكنيسة · (عن فوغوية)

والحواضر الكبرى ·· يكاد لا يصدق المرء أن صرحاً بهياً في بقعة قاحلة كهذه يرتفع الى درجة من الجمال بحيث يكون منبع الهام عالمي ·· ففي العصور الوسطى تقلدها مهندسو وبناؤو ومزخرفو الكنائس الاوروبية من الطراز الغوطي والرمني وخاصة منذ

الصليبيين الذين شاهدوا هذه الكنيسة ونقلوا نمطها الى الغرب ونسج الاوروبيون على منواله ·· ان هذه الكنيسة آية في الجمال الهندسي والزخرفي ومن أروع الكنائس المسيحية السورية · ولعل الميزة العامة الشاملة لكل المباني المسيحية السورية في الحجارة الكبيرة الحجم ، المنتظمة القطع ، الكاملة الصقل ، المحكمة التركيب ·· ولكنها تبرز بأجمل مجاليها وتبلغ ذروتها في هذه الكنيسة· وضخامة الحجارة هذه مقترنة بتزويق يجمع بين الجزالة والذوق الرفيع وخصت به أماكن اختيرت بحكمة بالغة · كل هذا التوازن والتقابل والتكامل في عناصر البناء يجعل من هذا الصرح آية جمال حقاً ··

وتتمتع هذه الكنيسة بميزات وخصائص جعلت منها مدرسة في الفن المعماري الزخرفي والتخطيطي والبنائي على نطاق محلي وعالمي معاً ·· ولعل واجهة كنيسة قلب لوزة تمثل أو تجسد الحضارات السورية والكلاسيكية والشرقية وتجمع في ما بينها على مستوى فني رفيع · وفي ما يلي بعض العناصر المتخذة من حضارات متنوعة والمنصهرة في كل واحد متناسق في كنيسة قلب لوزة ·

أ ــ التركيب العام : مدخل ذو قنطرة بين برجين · هذا التأليف الفني من ابتكار الآشوريين لانه ظهر لاول مرة في التاريخ بقصور ملوك آشور وخاصة في قصر سرجون نجور سباد (٧٢٢ ــ ٧٠٥ ق·م) ١٦ كيلو متراً شمالي شرقي نينوى ·

ب ــ المثلث : ذو الاطار النافر المزخرف في أعلى البرجين هو من ابتكار الفن الهيليني الكلاسيكي ويزين صدر كل القصور والهياكل اليونانية الجميلة ·

جـ ــ البنيان المؤلف من حجارة ضخمة كبيرة الحجم : متقنة

القطع محكمة التركيب بدون طين ، وزخرف الابواب والنوافذ والشبابيك ، والزنانير النافرة المكتنفة البناء ، وأعتاب الشبابيك التي تبدو مقوسة كل هذا من أصل سوري فينيقي محلي .

وهذا الفن المسيحي السوري له هيكله وشخصيته وطبيعته وأصوله الخاصة وميزاته الفريدة . بهذا لا نعني انه لم يستعن بأي عنصر من خارج الارض السورية . الفن السوري المسيحي ، مثل كل فن منفتح على العالم ، اتخذ عناصر من الحضارات الشرقية الميزوبوتامية والفارسية ومن المنابع الغربية الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، ولكنه صهر هذه العناصر المختلفة ضمن هيكله الخاص وبوتقة شخصيته وزاد عليها عناصر من انتاج عبقريته ونفخ الكل بحياة جديدة وروح جديدة . فبعث فناً جديداً عظيماً هو الفن السوري الوطني المحلي . ومن الخطأ والظلم أن نسمي هذه الكنائس بيزنطية ، وهذا الفن بيزنطياً . كل الاختصاصيين من فوغوية الى بطلر الى شالنكو الى ماترن الى لاسوس وغيرهم يستنكرون ذلك . فهذه الكنائس تختلف تماماً وبعيدة كلياً عن التصميم البيزنطي الذي يتميز بالقبب . وبعيدة خاصة من أسلوب البناء الروماني واليوناني والبيزنطي . فاليونان والرومان والبيزنطيون استعملوا في البناء الحجر الصغير أو الآجر والطين . أما الاسلوب السوري والفينيقي فيعتمد على الحجر الكبير المنتظم القطع والأصقل والنحت المحكم التركيب بدون طين البتة . والاسلوب الزخرفي في هذه الكنائس سوري محض وان كان يشتمل على بعض تفاصيل أخذها عن الفن اليوناني والبيزنطي[٢٦] .

هذه بعض آراء ضو والتي غطت عظمة بناء هذه الكنيسة واننا نتفق معه ومع غيره من الباحثين في القول ان هذا البناء وغيره من الصروح الاثرية في المنطقة ذات طراز محلي أبدعه أبناؤها ،

ويخطىء من يطلق عليه فن روماني أو بيزنطي قبل أن يطلق عليه فن سوري وطني .

وأما شالنكو الذي درسها كثيراً فقال عنها : تنفرد كنيسة قلب لوزة أيضاً بجدة مخططها ، فهي من أولى الكنائس التي نجد الجناح الرئيسي فيها محمولاً ، بدلاً عن الاعمدة ، على دعائم متينة ضخمة ترتكز عليها الاقواس .. ان التقدم في عمارة الجناح الرئيسي والحنية ليس مجرد تجديد تقني : فالمعمار عرف أن يستفيد منه ليحقق شكلاً جديداً لداخل الكنيسة سيكون نموذجاً يحتذى في الكنائس الكبرى التي تعود لعهد جوستنيان مثل كنيسة براد ورويحا والرصافة[٢٧] وعلى الرغم من أن هذه الكنائس قد أدخلت فيها بعض التحسينات . فان معماريها يرجعون في مبادئهم الى كنيسة قلب لوزة . وعلاوة على ذلك يشعر المرء ، ازاء كمال نحت الحجارة وريازتها في كنيسة قلب لوزة ، بوجود معمار رافق البناء حتى في أدق تفاصيله . ومثل هذه العناية مضافة الى البنية العقلانية ، هي التي كتبت البقاء للكنيسة .

وأما الاضاءة فهي من ميزاتها التي تلفت النظر وبعد أن يعدد ويقارن ميزاتها الفنية . يخلص الى القول : وكل المزايا التي تحدثنا عنها لا تعزل كنيسة قلب لوزة عن بقية كنائس المنطقة ولا تجعل منها استثناء فهي لا تزيد عن كونها قمة العمارة في جبل بيلوس[٢٨] وقد تم بلوغ تلك القمة بفضل مهارة فنان كبير . وهذا الفنان ليس أجنبياً فان عمله يستقي جذوره من تقليد محلي عريق نعرف منابعه وتطوره من الاطلال المنتشرة في جبل بيلوس .. والعدد الكبير من العناصر المعمارية التي كشف عنها التنقيب ليس بينها عنصر يشابه حتى من بعيد ، زخارف قلب لوزة . فالواقع أننا ازاء مدنية ريفية شبه مستقلة بلغت كمالها[٢٩] .

وأما الدكتور عدنان البني فقال عنها : اذا كانت كنيسة سمعان هي جوهرة الكنائس الاحتفالية الضخمة فان لؤلؤة الكنائس القروية هي ولا شك كنيسة قلب لوزة(٣٠) ٠

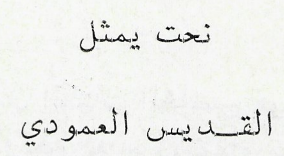
ونحن نطلق عليها لقب « درة الكنائس السورية » ٠

القريـة الاثريـة القديمة

نتساءل : هل كانت قرية أثرية قـديمة بجوار هذا الموقع ؟ ! واذا وجدت فأين بقاياها !

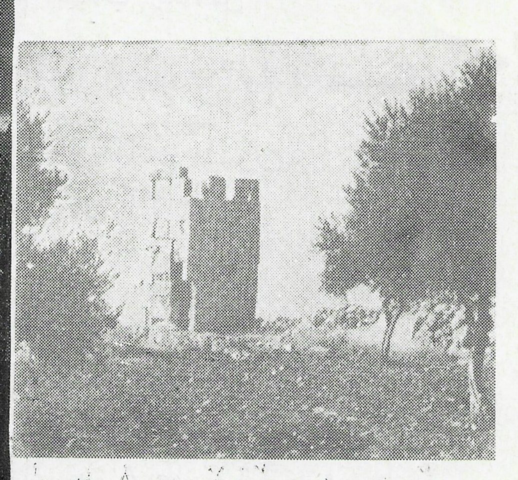
يبدو أن القديمة قد غابت أمام زحف عمران الحديثة ، وقـد نجد مصادفة بقايا جـدران ٠٠ وكان يوجـد منذ بضع سنوات في الساحة الشمالية المجاورة للكنيسة ناووس حجري في موقعه الاصلي طوله ٤٨ر٢ م وعرضه ١٦ر١ م وعلى واجهته نقش لقرص نافر فيه بقايا صليب ٠

وكذلك وجد الاب باسكال وزملاؤه خلال زيارتهم عام ١٩٨٨ الى الغرب من الكنيسة بقايا زخرفية ، وهي في أصلها بقايا المدخل والتي يعود عهدها الى القرن الخامس ٠ ثم وجدوا بقايا عمود عائد لنافذتي الواجهة الغربية ثم ركيزتي درابزون ٠ وكذلـك وجدوا ساكفـة عليها كتابـة سـريانية زائلـة الى الجنـوب الغربي من الكنيسـة بـ ١٥٠ م بين الاراضـي ٠ وأيضاً وجـدوا في الطرف الجنـوبي للكنيسة ركيزة الفاصـل بين الهيكل والمصلـين وتمثل العمودي ـ والمنشورة صورته ـ وهو الناسك الذي يتعبد ربه فوق عمود كعمودي كفر دريان (مار يونان) بمحافظة ادلب والقديس (سمعـان) العمودي في جـبل سمعان بحـلب ولم يتم العثـور على وثيقة تشير الى مكان عموده أو اسمه ٠٠



نحت يمثل

القـديس العمودي



برج قصر النعمان

ويطرح تساؤل : هل كان يوجد في القرية كنيسة أخرى ؟ شالنكو يرجح ذلـك لوجـود تيجان كورنثية مـن القرن السادس[٣١] والى الشمال الغربي بـ ٣٠٠ متر من الكنيسة يوجد موقع لناسك يدعى (قصر النعمان) يحتوي على برج بطابقـين ، ما زال معظمه قائماً ، وهو مربع الشكل • وفيه كان يقطـن الناسك ، متعبداً ربه طيلة حياته و ينسخ الكتب الدينية •

ويوجد بعض البقايا الديرية المحليـة ومعصرة وأربع مدافن للرهبان وصهريج ماء •

الهوامش :

١ ـ كنا قد أعلنا في الكتب السابقة على أن الكتاب الخامس هو عن مدينة (ادلب والقرى المجاورة لها) ولكن لعدم الانتهاء منه ، قررنا اصدار هذا الكتيب باسم الكتاب الخامس ٠

٢ ـ يراجع تفصيل ذلك في كتابنا القادم (ادلب٠٠البلدة المنسية)٠

٣ ـ كاستيلانا ـ ب : تاريخ الكنيسة في المدن السورية ٠ تعريب خوري ايطاليا ـ ڤيرونا ٠ ١٩٩٢ ص ٢٢ ٠

٤ ـ عن الاحصاء الفرنسي :

وكتبت قلب لوزي بالياء هكذا ٠ بينما عند شالنكـو ذكر خطأ عدد سكانها ٧٢ عام ١٩٤٥ انظر ١/٣٤٤ ٠

٥ ـ سجلات محكمة حلب الشرعية السجل ٨ ص ٢١٧ ٠ وسجل ٢ ص ٢٥٢ باسم قصر لوزة في ناحية االجبل الاعلى ٠

٦ ـ سجلات الاوامر السلطانية العثمانية سجل رقم ٢ ص ٢٠١ وثيقة٣٢٥الصادر من القسطنطينية باللغة العثمانية ومضمونه تقريـر الجباية على أهالي قرى منطقـة حارم مع المبلغ الذي ستتحمله كل قرية ٠ وكانت حصتها نصف وربع بينما كانت حصة حارم واحدة وسلقين وأرمناز خمسة ٠

٧ ـ الغزي : نهر الذهب ١/٤٨٧ قـلب لوزة ضمن قرى سلقين قضاء حارم ٠

٨ ـ ابن العديم : بغية الطلب ص ٤٢٢ ٠

٩ ـ حول تاريـخ سكان هذه القرية وغيرها راجـع كتابنا القادم (ادلب ٠٠ البلدة المنسية) قيد الانجاز ٠

١٠ ـ فسرها صديقنا الباحث باسكال كاستيلانا قائلاً : « انها من المحتمل مشتقة في أصلها من قال ـ بعل ـ اوزي ٠ مكان مكرس للاله بعل واوزي ٠ واسم قال يشتمل على فكرة آرامية نور ، نار ٠ ولـلاله التدمري بعل اتصال بالالـه بعل الكنعانـي ٠ ومكتشفات اوغاريت اشارت الى أن اسم بعل كان حـدد وأن اوزي أو أوزا المبجـل على الاغلب في تدمـر واوزا كان نجم الصبح عند العرب » ٠

PENA - CASTELLANA - FERNANDEZ :

Inventaire du Jebel Al - A' La Milano - 1990 - P. 171 .

ونعلق على ما سبق أننا لو أخذنا بذلك الـرأي فاننا لا نجد في صرح الكنيسة ما يشير الى بقايا المعبد الوثني ٠

١١ ـ ضو ـ بطرس : تاريخ الموارنة ٢/٢٦٠ كما أبدى بعضهم الرأي أن اسمها مبني عـلى اسم الملاكين جبرائيل وميكائيل لوجوده منقوراً فوق عتبة الباب الجنوبي الاوسط ٠ وكذلك في وسط واجهة الحنية وبينهما رسم المسيح ٠

١٢ ـ مجلـة الحوليات الاثريـة السورية مجلـد ٢٦ عام ١٩٧٦ ص ٣٠٥ ٠

مجلة الحوليات الاثرية السورية عام ١٩٧٤ مجلد ٢٤ ٠

AAES : I , P 221 - 225 , IIIn 4 , 5 ; IV n1 ,

Butler : Early Churches P. 71 - 72 .

VASN : II , PLCXXXVI 29 .

ومرجع الهامش ١٠ ص ١٧٣ ـ ١٧٤ ٠

١٣ ـ ضو : ٢/٦٥ـ٢٦٦ ٠

١٤ ـ من مؤيدي الرأي الاخير بطرس ضو ٢/٢٦٤ ٠

١٥ ـ ضو : ٢/٢٦١ ٠

١٦ ـ ضو ٢/٢٦٦ اعتمدنا في الوصف الفني على وصف ضو ، لاستعانته بأخيه المهندس ، وآراء من سبقوه ٠

وسطوح والبلاطات المرصوفة

١٧ ـ ضو : ٢/٢٦٩ ~~وله رأي أن المنصة أزالها الملكيون في الجيل~~ جوانب بعضها ببعض بشكل متعرج لمنع تسرب المياه ٠ وهذا اسلوب لم يفطن الى استعماله أحد خارجاً عن هذه الكنيسة ٠

١٨ ـ مجلة الحوليات مجلد ٢٤ ٠

١٩ ـ ضو : ٢/٢٦٩ وله رأي أن المنصة أزالها الملكيون في الجيل العاشر والحادي عشر ، لما استولى البيزنطيون على هذا الجزء من سورية ، وحولوا الكنيسة الى استعمال الملكيين ٠

٢٠ ـ ضو : ٢/٢٦٤ ٠

٢١ ـ ضو ٢/٢٦٣ ونقلا عن تشالينكو ١/٣٤٩ ٠

٢٢ ـ VMHS . P. 111 .

٢٣ ـ SC . P. 137 .

٢٤ ـ VMHS . P. 108 .

٢٥ ـ AAES . II P. 224 - 225 .

ونقلاً عن ضو ٢/٢٦٠ ويقول بطلر : « انها كقلعة سمعان تقدم أروع الجهود المحلية عن الحذاقة الفنية . ولا يوجد كنيسة يمكن مقارنتها معها في كل المنطقة ومعظمها لا يضاهيها في تزيينها في سورية الشمالية » .

٢٦ ـ ضو ٢/٢٧٠ وغيرها .

٢٧ ـ كنيسة براد في منطقة جبل سمعان بحلب وكنيسة رويحا في محافظة ادلب انظر الرحالة ٢/٦٦ وما بعد. وكنيسة الرصافة في محافظة الرقة .

٢٨ ـ جبل بيلوس : اسم يطلق في العهد الروماني على الكتلة الحوارية التي تقع فيها آثار المنطقة .

٢٩ ـ مجلة الحوليات مجلد ٢٤ .

٣٠ ـ مجلة دراسات تاريخية سنة ١١ عدد ٣٧ ـ ٣٨ ١٩٩٠ ص ١١٨ .

٣١ ـ VASN : I. P. 344 .

★ ● ● ★

المراجع العربية والاجنبية

آ ـ العربية :

١ ـ سجلات محكمة حلب الشرعية السجل ٨ و ٢ (مخطوط) ٠

٢ ـ سجلات الاوامر السلطانية العثمانية السجل ٢ (مخطوط) ٠

٣ ـ الغزي ـ كامل : نهر الذهب في تاريخ حلب ١٣٤١ـ١٣٤٥هـ ٠

٤ ـ ابن العديم ـ كمال : بغية الطلب في تاريخ حلب ـ دمشق ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م ٠

٥ ـ ضو ـ بطرس : تاريخ الموارنة ٠ دار النهار ـ بيروت ١٩٧٢ الجزء الثاني ٠

٦ ـ مجلة الحوليات السورية مجلد ٢٦ عام ١٩٧٦ ص ٣٠٥ ٠

٧ ـ مجلة الحوليات الاثرية السورية ـ مجلد ٢٤ عام ١٩٧٤ ٠

٨ ـ مجلة دراسات تاريخية سنة ١١ عدد ٣٧ ـ ٣٨ دمشق ١٩٩٠م ص ١١٨ ٠

٩ ـ قوصرة ـ فايز : ادلب ٠٠ البلدة المنسية (قيد الانجاز) ٠

ب ـ الاجنبيـة :

1 - AAES : Publication of The American Archaelogical Expedition to Syria in 1899 - 1900 New York .
1903 - 1930 in 4 Parts .

2 - SC : M. DE Vogue : Syrie Central 2 Vol . Parie 1865 - 1877 .

3 - VACN : G Chalenko : Village Antique de la Syrie du Nord 3 Vol - Paris 1953 - 58 .

4 - VMHS : J. Mattern : Villes Mortes de Haute Syrie , Beyrouth . 1933 .

5 - EGLISES DE VIllage de la Syrie du Nord . Par BACCACHE . 2 Vol Paris 1979 .

وغيرها من المراجع والدوريات •

محافظة ادلب بوابـة الحضارة السورية : أول موسوعة تؤرخ وتوثق أثرياً هذه المنطقة في القطر العربي السوري ·· صدر منها :

- الرحالة في محافظة ادلب : الجزء الاول والجزء الثاني ، والجزء الثالث والرابع قيد الانجاز ·
- حصن شغر ـ بكاس (حطين الثانية) ·
- حارم ·· دمشق الصغرى ·
- قلب لوزة ·· درة الكنائس السورية وسيليها ··
- ادلب ·· البلدة المنسية ·· (قيد الانجاز) ·
- الحضارة في جبل الزاوية (قيد الاعـداد) ·
- خطاب الى أبناء ادلب ·

★ عنوان المؤلف :

ادلب ـ مخـزن ادلب الخضـراء

★ **مطبعة الضـاد ـ حلب السيد علي** ★

هاتف : ٢٢٧٥٣٢

DÉPARTEMENT D'IDLEB

PORTAIL DE LA CIVILISATION SYRIENNE

5

FAYEZ KOSARA

L'EGLISE DE QALBLOZE

